

نماذج من السمات العامة لولاية المظالم
في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

د- منير أحمد محمد دفع الله^(١)

(١) أستاذ - الفقه وأصوله بجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - السودان: مجلة كلية الشريعة السنة الأولى - العدد الأول - ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ - يناير ٢٠١٧ م

ملخص البحث

إن الحمد لله نحمده حمد الشاكرين ونشكره شكر الحامدين، ونصلى ونسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.
وبعد:

تهدف هذه الدراسة لإبراز نماذج من السمات العامة لولاية المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك بالإشارة إلى المصطلح اللغوي والشرعي لولاية المظالم، ثم تناولت الدراسة السند الشرعي لها، مع بيان أهم اختصاصات والي المظالم وسلطاته في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم تحدثت الدراسة عن السمات العامة لولاية المظالم في ذلك العهد. كما أشارت الدراسة إلى أهم أسباب انتهاء ولاية المظالم في ذلك العهد، ثم خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها:

١. أن ولاية المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كانت من الوظائف التي تحظى بأهمية عظيمة.
٢. هنالك فروق واضحة بين سلطات واختصاصات والي المظالم وبين سلطات واختصاصات القضاة.
٣. أن لولاية المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سطات واختصاصات واسعة تفوق في كثير من الأحيان سلطات واختصاصات القضاة. ومن أهم التوصيات التي خرجت بها الورقة البحثية:
١. أن يستفيد ولاية أمورنا- متمثلة في هيئة المظالم والحسبة العامة - من أهم التشريعات التي كانت لولاية المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).
٢. أن يقوموا بتأصيل دولا ب العمل في هذه الهيئة المهمة والحساسة لعلها تقوم بالدور الذي من أجله أنشئت هذه الهيئة.
٣. أن يقوموا بتدريب الهيكل العامل في هذه الوظيفة الحساسة، فغالبية الموظفين التابعين لهذه السلطة أحسبهم غير ذلك.

مقدمة البحث:

إن الحمد لله نحمده ونشكره ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه رضوان الله عليهم أجمعين. وبعد: فإن ولاية المظالم من أهم الولايات في الإسلام وأعظمها، ولم تكن معروفة بهذا الاسم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإنما عرفت بهذا الاسم في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجعل الخليفة عمر لولاية المظالم سلطات واختصاصات متوازنة ومعتدلة، فهي تشابه إلى حد كبير سلطات القاضي من حيث العدالة والإجراءات وانتهاء مدة الولاية، كما أنها تشابه سلطات المحتسب من حيث السطوة والقوة وسرعة البت في المنازعة، فأقدم هذا البحث راجياً من المولى عز وجل أن ينفع به البلاد والعباد، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أسباب اختيار الموضوع: تتمثل أسباب اختيار البحث في الآتي:

١. تعتبر ولاية المظالم في الدولة الإسلامية من الولايات المهمة، والتي يعين لها أهل الكفاءة، ولما كانت كثيراً من الدول وبما فيها جمهورية السودان وعبر حقبةا المختلفة لا تلقي لها كثير اهتمام رأيت أن أكتب فيها.
٢. حاجة ولاية الأمور لمثل هذه البحوث حتى يتعرفوا على أهم اختصاصات هذه الولاية وسلطاتها والسند الشرعي لها حتى ينزلوا ذلك على أرض الواقع.
٣. حاجة المكتبة العلمية لمثل هذه البحوث المؤصلة.

مشكلة البحث:

نلخص مشكلة البحث في الآتي: ما مفهوم ولاية المظالم؟ وما أهم سلطات والي المظالم وأهم اختصاصاته في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه؟ ومتى تنتهي مدة ولايته؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث في أنه يوضح نماذج من السمات العامة لولاية المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي

حدود البحث:

يتناول هذا البحث ولاية المظالم في الإسلام في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة موجزة.

تناولت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع وأهداف البحث وأهميته والمنهج المتبع فيه.
المبحث الأول: مفهوم ولاية المظالم وحكمها وحكمة مشروعيتها وأركانها.
المبحث الثاني: اختصاصات ولاية المظالم وسلطاتهم وأرزاقهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
المبحث الثالث: أعداد ولاية المظالم ومحاسبتهم وانتهاء ولايتهم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.
الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم ولاية المظالم وحكمها وحكمة مشروعيتها وأركانها.

المطلب الأول - مفهوم ولاية المظالم في اللغة والاصطلاح:

ولاية المظالم مركب إضافي تتكون من كلمتين: (ولاية) و (المظالم). فالولاية لغة من الفعل ولي. فولي الشيء وولي عليه ولاية وولاية، وقيل الولاية الخطة كالإمارة، والولاية المصدر، ولي (الولي) بسكون اللام القرب والدنو، يقال: تباعد بعد ولي. و(الموئلي) المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والحليف. و(الولاء) ولاء المعتق. و(الموالاتة) ضد المعادة. ويقال: (ولي) بينهما (ولاء) بالكسر أي تاب. و(توآلى) عليهم شهران تتابع. و(استولى) على الأمد أي بلغ الغاية. قال ابن السكيت^(١): (الولاية) بالكسر السلطان، و(الولاية) بالفتح والكسر النصر. وقال سيبويه: (الولاية) بالفتح المصدر وبالكسر الاسم. وقولهم: (أولى) لك تهديد ووعيد^(٢).

والمظالم لغة: من (ظ ل م) الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وظلمه نسبه إلى الظلم^(٣) والظلام والظلمة والمظلمة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أخذ منك. وتظلمني فلان، أي ظلمني مالي. وتظلم منه، أي اشتكى ظلمه. وتظالم القوم. وظلمت فلانا تظليماً، إذا نسبته إلى الظلم، فانظلم، أي احتمل الظلم، والمظالم ظلامات الأدميين^(٤)، الظلم: مصدر ظلمته أظلمه ظلماً، والظلم، بالضم الاسم. وأصل الظلم وضعك الشيء في غير موضعه، ثم كثر ذلك حتى سمي كل عسف ظلماً^(٥)، قال بعض الحكماء الظلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال عز

(١) هو يعقوب بن إسحاق السكيت، روى عن الأصمعي، وأبي عبيدة، والفراء، وغيرهم من أهل اللغة. وكتبه جيدة صحيحة نافعة، منها: "إصلاح المنطق"، وكتاب "الألفاظ" و"كتاب في معاني الشعر" و"كتاب القلب والإبدال" ولم يكن له نفاذ في علم النحو. مات في رجب من سنة ثلاث، وقيل: من سنة أربع، وقيل: من سنة ست وأربعين ومائتين، وقد بلغ ثمانياً وخمسين سنة. انظر تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم- أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري - تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الطو - الطبعة: الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م - الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - ١ / ٢٠١١.

(٢) مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي - المحقق: يوسف الشيخ محمد - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م - المكتبة العصرية - بيروت - صيدا - ١ / ٣٤٥، المحكم والمحيط الأعظم - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي - المحقق: عبد الحميد هنداوي - الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١ / ٣٤٥.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي - ١٠ / ٢٣.

(٤) تحرير ألفاظ التنبيه - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - المحقق: عبد الغني الدقر - الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - الناشر: دار القلم - دمشق - ١ / ٩٠، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربي أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي - الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - ٥ / ١٩٧٧.

(٥) معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين - المحقق: عبد السلام محمد هارون - طبعة دار الفكر - عام النشر (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) - ٣ / ٤٦٩.

وجل: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) سورة لقمان، الآية (١٣).

والثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) سورة الشوري، الآية (٤٢).

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) سورة فاطر، الآية (٣٢)، وقوله تعالى: (أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) سورة البقرة، الآية (١٩).

ثانياً: ولاية المظالم في الاصطلاح: عرف الفقهاء ولاية المظالم بعدة تعريفات منها: هي قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبية، وهي ولاية دائرة بين سطوة الولاة وتثبت القضاة^(١).

وقيل هي: عبارة عن كل حكم يعجز عنه القاضي، وينظر فيه من هو أقوى يداً منه^(٢).
وقيل هي: وعرفها الماوردي بقوله: « هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبية، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر نافذ الأمر، عظيم الهيبية، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع؛ لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماية، وثبت القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين»^(٣).

المطلب الثاني - حكم ولاية المظالم في الشريعة الإسلامية :

أولاً - حكم ولاية المظالم في الشريعة الإسلامية:

الحكم الشرعي لتولي المظالم في الدولة المسلمة واجب وأمر لا بد منه، فيجب على الحاكم أن يتولى هذا الأمر بنفسه، أو أن يقوم بتعيين من يثق فيه بتولي هذا الأمر إنابة عنه؛ لأن ولايتي القضاء والحسبة قد تعجزان عن الفصل في بعض الأمور والقضايا الكبيرة، كأن يكون الخصم صاحب مركز ومكانة مرموقة، أو تكون الظلامة مرتبطة بالدولة في شكلٍ أو موظف معتبر، فكان لا بد من جهة يرجع إليها لردع الظالم ورد الظلمات.

(١) مآثر الإنافة في معالم الخلافة - أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي - المحقق: عبد الستار أحمد فراج - الطبعة: الثانية (١٩٨٥م) - الناشر: مطبعة حكومة الكويت - ٧٨/١.

(٢) مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي - المحقق: خليل شحادة - الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - الناشر: دار الفكر، بيروت - ٢٧٦/١.

(٣) الأحكام السلطانية - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادى، الشهير بالماوردي - ص ١٢٠ - الناشر: دار الحديث - القاهرة.

ومشروعية تولي المظالم، وإقامة العدل أمر واجب ولا بد منه، عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية متوافرة تكاد لا تحصى.

منها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (١)، فقد قال الشافعي - رحمه الله تعالى - في بيان وجه الاستدلال بهذه الآية (٢): فأعلم الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن فرضاً عليه، وعلى من قبله، والناس إذا حكموا أن يحكموا بالعدل. ومن النصوص القرآنية الدالة على الفرضية أيضاً قوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ × أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ × وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) سورة الرحمن، الآية (٧-٨-٩). ولقد باشر الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا العمل بنفسه، فعن عروة عن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - أنه حدثه: أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في شراج الحرة (٣) التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح (٤) الماء يمر، فأبى عليه؟ فاختصما عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للزبير: (اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك) فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: (اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر) (٥)، فقال الزبير: والله إني لأحسب أن هذه الآية: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) سورة النساء، الآية (٦٥). نزلت في ذلك. وعن أبي هريرة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من كانت له مظلمة من أخيه من عرضه أو ماله فليتحلله (٦) من قبل أن يؤخذ منه حين لا يكون ديناراً ولا درهماً، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإلا أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه) (٧)

(١) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٢) تفسير الإمام الشافعي - الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف - الطبعة الأولى: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م - الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية - ٢١٦/٢.

(٣) شراج الحرة: مسائل الماء من الحرار إلى السهل، واحدها شراج انظر: غريب الحديث - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي - الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ٥٢٥/١.

(٤) سرح: أي اترك الماء يجري بسهولة، تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور - المحقق: محمد عوض مرعب - الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٧٤/٤.

(٥) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - الناشر: دار طوق النجاة - ١١١/٣.

(٦) يقال: تحلته واستحلته إذا سألته أن يجعلك في حل من قبله. انظر لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور - الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ - الناشر: دار صادر - بيروت - ١١/١٧١.

(٧) انظر شرح مشكل الآثار - أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي

وقد كان لسمره بن جندب عضد من نخل في حائط رجل من الأنصار، فكان مع الأنصاري أهله في الحائط، فكان سمرة يجيء فيدخل عليهم، فيؤذنيهم ذلك، ويشق عليهم، وإن الرجل يأتي النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له، فأرسل إلى سمرة، فطلب إليه أن يبيعه، فأبى، فطلب إليه أن ينقله فأبى، قال: فهبها له، ولك مثلها في الجنة. فأبى، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (مُضَارٌّ). ثم قال للأنصاري: (انهب فاقلع نخله)^(١) وعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً من الأسد، يقال له: ابن اللتبية - قال عمرو وابن أبي عمر - على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا لي، أهدي لي، قال: فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: (ما بال عامل أبعثه، فيقول: هذا لكم، وهذا أهدي لي، أفلا تعد في بيت أبيه، أو في بيت أمه، حتى ينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بغير له رُغاء^(٢)، أو بقرة لها خوار^(٣)، أو شاة تيعر^(٤)) ثم رفع يديه حتى رأينا عُفرتي^(٥) إبطيه، ثم قال: (اللهم، هل بلغت؟) مرتين^(٦) وقد روي أيضاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حضر مجلساً وحلفاً قبل البعثة مع قريش مفتخراً بحضوره له، وأنه لو دعي إليه في الإسلام لأجابه، فقد جاء في كتب الأحاديث والسيرة رواية هذه القصة، فقد روي أن رجلاً من بني زبيد^(٧)، قدم مكة معتمراً في الجاهلية ومعه تجارة له، فاشتراها منه رجل من بني سهم، فأواها إلى بيته، ثم تغيب فابتغى متاعه

- تحقيق شعيب الأرنؤوط - الطبعة الأولى (١٤١٥ هـ - ١٤٩٤ م) - الناشر: مؤسسة الرسالة - ١/ ١٧٧.

(١) مساوي الأخلاق ومذمومها - أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاعر الخرائطي السامري -

حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي - الطبعة الأولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة - ١/ ٢٧٤، والحديث ضعيف ذكره الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني - الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م - الناشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية - ٢/ ٥٥٥.

(٢) الرغاء: صوت الإبل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي - ٢/ ٢٤٠.

(٣) الخوار: صوت البقر انظر لسان العرب - ابن منظور - ٤/ ٢٦١.

(٤) العيار: صوت الشاة - انظر تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم - محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر - المحقق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز - الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م - الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - ١/ ١١٣.

(٥) عفرتي: أي بياض. انظر لسان العرب - ابن منظور - ٤/ ٥٨٥.

(٦) انظر صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٣/ ١٤٦٣.

(٧) اسم واد به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به، وهي مدينة مشهورة باليمن، انظر معجم البلدان - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي - الطبعة: الثانية (١٩٩٥ م) الناشر: دار صادر، بيروت - ٣/ ١٣١.

الزبيدي فلم يقدر عليه، فجاء إلى بني سهم يستعديهم عليه فأغلظوا عليه، فعرف أن لا سبيل إلى ماله، فطوف في قبائل قريش يستعين بهم، فتخاذلت القبائل عنه، فلما رأى ذلك أشرف على أبي قبيس حين أخذت قريش مجالسها ثم قال بأعلى صوته:

يا لفهر لمظلوم بضاعته
ببطن مكة نائي الأهل والوطن
ومحرم أشعث لم يقضي عمرته
يا آل فهر وبين الحجر والحجر
هل محضر من بني سهم بحضرتهم
فعادل أم ضلال مال معتمر

فلما نزل من الجبل أعظم ذلك قريش فتكالموا فيه، وقال المطيبون^(١): والله لئن قمنا في هذا لنقضين على الأحلاف^(٢) وقال الأحلاف: والله لئن تظلمنا في هذا لنقضين على المطيبين، فقال ناس من قريش: تعالوا فلنكرر حلف الفضول دون المطيبين ودون الأحلاف، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان، وصنع لهم يومئذ طعاماً كثيراً، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ معهم قبل أن يوحى إليه، وهو ابن خمس وعشرين سنة، فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم، وكان الذي تعاهد عليه القوم وتحالفوا، أن لا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه، ويردوا إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم، ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت، فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشربوه، فحدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان من حلف الفضول، ما لو دعيت إليه لأجبت، وما أحب أن لي به حمر النعم^(٣).

وقد قال الماوردي في ذلك: وهو إن كان فعلاً جاهلياً دعت إليه السياسة، فقد صار بحضور الرسول - صلى الله عليه وسلم - له وما قاله في تأكيد أمره، حكماً شرعياً وفعلاً نبوياً^(٤).

(١) المطيبون قبيلة من قبائل قريش، سمووا بذلك لأنهم لما تصالحوا مع الأحلاف أخذوا جفنة مملوءة طيباً وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا بها الكعبة توكيداً على أنفسهم فسموا المطيبين. انظر معجم البلدان - ١٨٧/٥ - مرجع سابق.

(٢) الأحلاف قبيلة من قبائل قريش سمووا بذلك لأنهم لما تحالفوا مع المطيبين أخذوا جفنة مملوءة دماً وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا بها الكعبة فسموا الأحلاف. انظر معجم البلدان - ١٨٧/٥ - مرجع سابق.

(٣) انظر أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه - أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي - المحقق عبد الملك عبد الله دهيش - الطبعة الثانية (١٤١٤هـ) - الناشر: دار خضر بيروت - ١٦٩/٥.

(٤) الأحكام السلطانية - الماوردي - ١٣٣/١ - مرجع سابق.

المطلب الثالث - حكمة مشروعية ولاية المظالم في الشريعة الإسلامية:

القضايا التي تتعلق بأعمال الأشخاص الرسميين كرئيس الدولة، وأعضاء الهيئة التنفيذية، والولاة، وأعضاء مجلس الشورى، والموظفين وغيرهم من الشخصيات الاعتبارية، فإن الذي ينظر فيها هو قاضي المظالم، وهناك حكم كثيرة لمشروعية ولاية المظالم في الإسلام ذكرها الفقهاء واستنبطوا أغلب هذه الحكم من عمل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - منها^(١):

١. إقامة العدل بين الناس.
٢. المحافظة على الحقوق.
٣. منع الظلم والتعسف في استعمال السلطة.
٤. محاسبة الولاة والجبابة وغيرهم من الشخصيات الاعتبارية في الدولة.
٥. مراقبة موظفي الدولة إذا تجاوزوا حدود سلطتهم وصلاحياتهم.

المطلب الرابع - أركان ولاية المظالم :

لولاية المظالم أركان أربعة وهي:

الركن الأول - والي المظالم. وهو الشخص المعين من قبل الدولة المنوط له القيام بهذه المهمة والوظيفة. فيشترط في والي المظالم عدة شروط منها:

١. أن يكون جليل القدر.
٢. أن يكون نافذ الأمر.
٣. أن يكون عظيم الهيئة.
٤. أن يكون ظاهر العفة.
٥. أن يكون قليل الطمع.
٦. أن يكون كثير الورع.

وهناك أعوان وأشخاص، لابد لوالي المظالم من الاستعانة بهم، لأداء مهمته الجسيمة، ويستكمل بهم مجلس نظره، ولا يستغني عنهم، ولا ينتظم نظره إلا بهم منهم^(٢):

أ - رئيس المجلس، هو والي المظالم، أو قاضي المظالم.

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية - صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر. ١٣٢/ ٣٨.

(٢) الأحكام السلطانية-المواردي-١/ ١٤٣-مرجع سابق، الأحكام السلطانية - القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء - الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ١/ ٧٦، الفقه الإسلامي وأدلته - وهبة الزحيلي - الطبعة الرابعة - الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق ٣٦٨/ ٨.

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - السودان: مجلة كلية الشريعة السنة الأولى - العدد الأول - ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ - يناير ٢٠١٧ م

- ب - الحماية والأعوان ويستعين بهم لجذب القوي، وتقويم الجريء.
- ج - القضاة والحكام، وذلك لاستعلام ما ثبت عندهم من الحقوق، ومعرفة ما يجري في مجالسهم بين الخصوم.
- د - الفقهاء، ليرجع إليهم فيما أشكل، ويسألهم عما اشتبه وأعضل.
- هـ - الكتّاب، ليثبتوا ما جرى بين الخصوم، وما توجه لهم أو عليهم من الحقوق. ويشترط في الكاتب أن يكون عالماً بالشروط والأحكام، والحلال والحرام، مع جودة الخط، وحسن الضبط، والأمانة والعدالة، والبعد عن الطمع.
- و- الشهود، ليشهدوا على ما أوجبه قاضي المظالم من حق، وأمضاه من حكم. فإن استكمل مجلس المظالم هؤلاء الستة شرع حينئذ في عمله
- الركن الثاني - المتظلم منه. وهو الشخص الذي ترفع ضده المظلمة. وغالباً ما يكون هذا الشخص المتظلم منه والياً أو جابياً لأموال الزكاة أو مستولاً أو مديراً.
- الركن الثالث - المتظلم فيه. هو المنكر الذي يراذرفعه^(١)، وقيل: هو من تجري عليه المظلمة.
- الركن الرابع - نفس المظلمة. فقد تكون أكل مال أو ضياع حق أو تعسف أو منع حق أو غيره من أنواع المظالم.

(١) فتاوى الشبكة الإسلامية - لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية - ٨١٣/٥.

المبحث الثاني- اختصاصات ولاية المظالم وسلطاتهم وأرزاقهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المطلب الأول - اختصاصات ولاية المظالم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه:

يختص والي (قاضي) المظالم باختصاصات متعددة بعضها استشاري يتعلق بمراقبة تطبيق أحكام الشرع، وبعضها إداري يتعلق بمراقبة أعمال الموظفين ولو بدون متظلم من الناس، وبعضها قضائي يتعلق بفصل الخصومات بين الحكام والرعية، أو بين الرعية أنفسهم.

وهذه الاختصاصات تفصيلاً هي ما يأتي^(١):

١. النظر في تعدي الولاية على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة، فهذا من لوازم النظر في المظالم، الذي لا يقف على ظلامة متظلم فيكون لسيرة الولاية متصفحاً، ومكتشفاً أحوالهم، ليقويهم إن أنصفوا، ويكفهم إن عسفوا، ويستبدل بهم إن لم ينصفوا، ولم يؤدوا واجبهم المنوط بهم.
٢. جور العمال في جباية الأموال بمقارنتها بالقوانين العادلة في دواوين الأئمة، فيحمل الناس عليها، ويأخذ العمال بها، وينظر فيما استزادوه، فإن رفعوه إلى بيت المال، أمر برده، وإن أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه.
٣. النظر في كتاب الدواوين لأنهم أمناء المسلمين على بيوت أموالهم فيما يستوفونه له، فيتصفح أحوالهم فيما وكل إليهم من زيادة أو نقصان.
٤. تظلم الموظفين من نقص أرزاقهم، أو تأخرها، وإجحاف النظر بهم فيرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العادل فيجريه عليهم، وينظر فيما نقصوه، أو منعه من قبل، فإن أخذه ولاية أمورهم استرجعه منهم، وإن لم يأخذوه قضاه من بيت المال.
٥. رد الغصوب، وهي قسمان:

أحدهما: غصوب سلطانية قد تغلب عليها ولاية الجور، كالأموال المقبوضة عن أربابها، إما لرغبة فيها، وإما لتعد على أهلها، فهذا إن علم به والي المظالم عند تصفح الأمور أمر برده قبل التظلم إليه، وإن لم يعلم به فهو موقوف على تظلم أربابه، ويجوز أن يرجع فيه عند تظلمهم إلى ديوان السلطنة، فإذا وجد فيه ذكر قبضها على مالها عمل عليه، وأمر عن منعه، والحيث في حق لم يقدر على رده، فيأخذهم والي المظالم بحق الله - تعالى - في الجميع، ويأمر بحملهم على موجه.

الثاني: من الغصوب ما تغلب عليها ذو الأيدي القوية، وتصرفوا فيه تصرف الملاك بالقهر والغلبة، فهذا موقوف على تظلم أربابه، ولا ينتزع من يد غاصبه إلا بأحد أربعة أمور، إما باعتراف الغاصب وإقراره، إما بعلم والي المظالم، فيجوز له أن يحكم عليه لعلمه، وإما

(١) انظر الأحكام السلطانية - الماوردي - ١/ ١٣٤ - مرجع سابق، الأحكام السلطانية - أبي يعلى - ١/ ٧٦ - مرجع سابق، تحرير السلوك في تدبير الملوك - أبو الفضل محمد بن عبد الوهاب بن عبد اللطيف الأعرج - بدون طبعة - ١/ ٣٩.

ببينة تشهد على الغاصب بغصبه، أو تشهد للمغصوب منه بملكه، وإما بتظاهر الأخبار الذي ينفى عنها التواطؤ، ولا يختلج فيها الشكوك؛ لأنه لما جاز للشهود أن يشهدوا في الأملاك بتظاهر الأخبار، كان حكم ولاية المظالم بذلك أحق^(١).

٦ - النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين، فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه، ولا يسوغ أن يحكم بينهم إلا بما يحكم به الحكام والقضاة، وربما اشتبه حكم المظالم على الناظرين فيها، فيجورون في أحكامها، ويخرجون إلى الحد الذي لا يسوغ، وهذا من عمل القضاة.

مما تقدم يتبين للباحث أن هنالك اختلاف بين اختصاص قضاء المظالم، واختصاص القضاء العادي، وهذا الاختلاف يتمثل في الآتي^(٢):-

١. إن لنظر المظالم من فضل الهيئة، وقوة اليد ما ليس للقضاة في كف الخصوم عن التجاحد، والمبالغة في إنكار الحق في كلا الجانبين، ومنع الظلمة من التغالب والتجاذب.
٢. إن نظر المظالم يخرج عن ضيق الوجوب في التحقيق والإثبات والأحكام والتنفيذ، إلى سعة الجواز، فيكون أفسح مجالاً، وأوسع مقالاً.
٣. يستعمل ناظر المظالم من فضل الإرهاب، وكشف الأسباب بالأمارات الدالة، وشواهد الأحوال، ما يضيق على الحكام، فيصل به إلى ظهور الحق، ومعرفة المبطل من المحق.
٤. يقابل ناظر المظالم من ظهر ظلمه بالتأديب، ويأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهديب.
٥. لناظر المظالم استمهال الخصوم، وتأجيل الفصل في النزاع، والتأني في ترداد الأطراف عند اشتباه الأمور، واستبهاام الحقوق، ليمعن في الكشف عن الأسباب وأحوال الخصوم ما ليس للقضاة.
٦. لناظر المظالم رد الخصوم إذا أعضلوا، أي تعذر التوفيق بينهم، إلى وساطة الأمناء، ليفصلوا في التنازع بينهم صلحاً عن تراض، وليس للقاضي ذلك إلا عن رضا الخصمين بالرد إلى الصلح.
٧. لناظر المظالم أن يفسح في ملازمة الخصمين إذا وضحت أمارات التجاحد، ويأذن في إلزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل، لينقاد الخصوم إلى التناصف، ويعدلوا عن التجاحد والتكاذب.
٨. لناظر المظالم أن يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاء في شهادة المعدلين فقط.

(١) الأحكام السلطانية - الماوردي - ١/ ١٣٦ - مرجع سابق.

(٢) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام - إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى - الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - ٢/ ١٤٦، مكتبة الكليات الأزهرية، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام - أبو الحسن، علاء الدين، علي بن خليل الطرابلسي - الناشر: دار الفكر - ١/ ١٧٤.

٩. يجوز لناظر المظالم، إحلاف الشهود عند ارتيابه بهم، إذا بذلوا أيمانهم طوعاً، ويستكثر من عددهم ليزول عنه الشك، وينفي عنه الارتياب، وليس ذلك للقاضي العادي.

١٠. يجوز لناظر المظالم أن يبتدئ باستدعاء الشهود، ويسأل عما عندهم في تنازع الخصوم، أما عادة القضاة، فهي تكليف المدعي إحضار بينته، ولا يسمعونها إلا بعد طلبه .

كما أن هنالك وجه شبه ووجه اختلاف بين اختصاص المظالم والحسبة وهي كما يلي بحسب ما ذكره الفقهاء.

أما وجه الشبه بين ولاية المظالم وولاية الحسبة، فأمران^(١) هما:

الأمر الأول: أن موضوع المظالم والحسبة يعتمد على الرهبة وقوة الصرامة المختصة بالسلطنة.

الأمر الثاني: يجوز للقائم في المظالم والحسبة أن ينظر من تلقاء نفسه، وفي حدود اختصاصه.

أما أسباب الاختلاف بين ولاية المظالم والحسبة^(٢) فهي:

١. إن النظر في المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة، أما النظر في الحسبة فموضوع لما ترفع عنه القضاة، أو لا حاجة لعرضه على القضاء، فكانت رتبة المظالم أعلى ورتبة الحسبة أخفض منه، ويترتب على ذلك أنه يجوز لوالي المظالم أن يوقع (يخاطب ويراسل) إلى القضاة والمحتسب، ولم يجز للقاضي أن يوقع إلى والي المظالم، ويجوز له أن يوقع إلى المحتسب، ولا يجوز للمحتسب أن يوقع إلى واحد منهما.

٢. يجوز لوالي المظالم أن ينظر في دعاوى المتخاصمين، ويفصل بينهما، ويصدر حكماً، قضائياً قابلاً للتنفيذ، أما والي الحسبة فلا يجوز له أن يصدر حكماً؛ لأنه مختص في الأمور الظاهرة التي لا اختلاف فيها ولا تنازع، ولا تحتاج إلى بينة وإثبات وحجاج.

المطلب الثاني - سلطات ولاية المظالم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.

يحق لقاضي المظالم القيام بتدابير مؤقتة، وإجراءات خاصة، قبل النظر في دعوى المظالم، وأثناء النظر فيها ذكرها الفقهاء^(٣) أهمها:

١. الكفالة: وذلك بتكليف المدعى عليه (المدين) بتقديم كفالة بأصل الدين، ريثما يفصل في الأمر، قال الماوردي: وعلى والي المظالم أن ينظر في الدعوى، فإن كانت مالا، في الذمة كلفه القاضي بإقامة كفيل.

٢. الحجر: فإن كانت الدعوى عيناً قائمة كالعقار حجر عليه فيها حجراً لا يرتفع به حكم يده ويرد استغلالها إلى أمين يحفظه على مستحقه منها. وبما أن الحجر من جهة، ووضع المال عند أمين من جهة أخرى، قد ينتج عنهما ضرر وأذى لصاحب الحق،

(١) الفقه الإسلامي وأدلته - ٢٨٤ / ٨ - مرجع سابق، الموسوعة الفقهية - ٢٨ - / مرجع سابق - ١٣٦.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته - ٣٥٢ / ٣ - مرجع سابق.

(٣) انظر الموسوعة الفقهية - ١٢٧ / ٢٨ - مرجع سابق.

ولذلك تشدد فيهما الفقهاء، فقالوا: فأما الحجر عليه فيها، وحفظ استغلالها مدة الكشف والوساطة فمعتبر بشواهد أحوالهما، واجتهاد والي المظالم فيما يراه بينهما إلى أن يثبت الحكم بينهما.

٣. إجراء المعاينة والتحقيق المحلي، فإن لوالي المظالم أن يكشف عن الحال من جيران الملك، ومن جيران المتنازعين فيه، ليتوصل بهم إلى وضوح الحق، ومعرفة المحق.

٤. الاستكتاب والتطبيق والمضاهاة، وذلك إذا أنكر المدعى عليه الخط، فإن والي المظالم يختبر خطه، باستكتابه بخطوطه التي يكتبها، ويكلفه الإكثار من الكتابة ليمنعه من التصنع فيها، ثم يجمع بين الخطين، فإذا تشابها حكم به عليه، وهذا قول من جعل اعترافه الخط موجباً للحكم به، والذي عليه المحققون منهم أنهم لا يفعلون ذلك للحكم عليه، ولكن لإرهابه وتكون الشبهة مع إنكاره للخط أضعف منها مع اعترافه به، وترفع الشبهة إن كان الخط منافياً لخطه، ويعود الإرهاب على المدعي ثم يردان إلى الوساطة، فإن أفضى الحال إلى الصلح وإلا بتّ القاضي في الحكم بينهما.

٥. التنفيذ: وهو تنفيذ الأحكام وهو الهدف الأخير من وجود القضاء والمحاكم، ولا سيما في قضاء المظالم، إذا عجز القضاة عن تنفيذ أحكامها على المحكوم عليه، لتعززه وقوة يده، أو لعلو قدره، وعظم خطره، فيكون ناظر المظالم أقوى يداً، وأنفذ أمراً، فينفذ الحكم على من يوجه إليه، بانتزاع ما في يده، أو بإلزامه الخروج مما في ذمته.

المطلب الثالث - أرزاق ولاية المظالم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.

أولاً - أرزاق ولاية المظالم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.

يعطى والي المظالم كفايته من بيت المال المسلمين من الجزية والخراج، لأنه عامل للمسلمين محبوس لهم، فتكون كفايته في مالهم كالولاية، والقضاة وغيرهم.

والدليل على أن والي المظالم يأخذ أجراً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه، فعن الزهري أخبرني السائب بن يزيد، ابن أخت نمر، أن حويطب بن عبد العزى، أخبره أن عبد الله بن السعدي، أخبره أنه قدم على عمر في خلافته، فقال له عمر: ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالاً، فإذا أعطيت العمالة كرهتها، فقلت: بلى، فقال عمر: فما تريد إلى ذلك، قلت: إن لي أفراساً وأعبداً وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين، قال عمر: لا تفعل، فإني كنت أردت الذي أردت، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعطيني العطاء، فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا، فقلت: أعطه أفقر إليه مني، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم: (خذه، فتموله، وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وإلا فلا تتبعه نفسك)^(١).

(١) صحيح البخاري - ٦٧/٩ - مرجع سابق.

المبحث الثالث - أعداد ولاية المظالم ومحاسبتهم وانتهاء ولايتهم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.

المطلب الأول- أعداد ولاية المظالم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.

كانت مهمة خليفة المسلمين القيام بأعباء الولاية في الدولة إما بنفسه أو بتكليف أحد الرعية والأتباع بالقيام بهذه المهمة، فقد شغل الخليفة عمر هذا المنصب بنفسه في بادئ الأمر، وأتقنه خير إتقان، ويشهد التاريخ له بذلك، فكان كثيراً ما يتجول الخليفة عمر - رضي الله عنه - بنفسه في الأسواق، ويقوم بالإطلاع على أساليب التعامل فيها، ومنع المخالفات الشرعية فيها كمنع الغش والتدليس والبيوع المحرمة^(١).

كما كان الخليفة عمر يتعسس في الليل، لتفقد أحوال المسلمين، ومقاومة الظلمة والمفسدين والمنحرفين وتعقب المجرمين.

فقد روى الإمام الطبري في تاريخه: (أن عمر رضي الله - تعالى عنه - كان يطوف في الأسواق، ويقراً القرآن، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم)^(٢).

ولكن لما اتسعت الدولة الإسلامية اتساعاً عظيماً وتشعبت، وكثرت مشغولياته، كلف الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عدداً من الصحابة، للقيام بأعباء هذه المهمة، وغالباً ما يقوم برد المظالم بين الناس الولاية، وهذا من طبيعة عملهم، وممن كلف بهذه المهمة من غير الولاية، الصحابي الجليل محمد بن مسلمة.

فقد روي أن سعد بن أبي وقاص، اتخذ قصراً وجعل عليه باباً وقال انقطع الصويت فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عمر إذا أحب أن يؤتى بالأمر كما هو بعثه فقال له إئت سعداً فأحرق عليه بابه، فقدم الكوفة فلما أتى الباب أخرج زنده واستورى ناراً ثم حرق الباب، فأتى سعداً الخبر ووصف له صفته، فعرفه فخرج إليه سعد فقال له محمد إنه بلغ أمير المؤمنين أنك قلت انقطع الصويت، فحلف سعد بالله ما قال ذلك، فقال محمد نفعل ما أمرنا به، ونؤدي عنك ما تقول، ثم ركب راحلته حتى قدم المدينة، فابتعد من الماء، ثم راح فلما أبصره عمر، قال لولا حسن الظن بك ما رأينا أنك أديت، وذكروا أنه أسرع السير، فقال وهو يعتذر ويحلف بالله ما قال، فقال عمر: ألا أمر لك بشيء، قال: قد رأيت مكاناً أن تأمر لي، فقال

(١) عصر الخلافة الراشدة - أكرم بن ضياء العمري - الناشر: مكتبة العبيكان-١/١٤٨، المدخل - أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج - الناشر: دار التراث-١/١٥٧.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري - الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ - دار التراث - بيروت - ٤ / ٢١٣، الكامل في التاريخ - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ابن الأثير - الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م - الناشر: دار الكتاب - العربي، بيروت - لبنان - ٢ / ٤٣٦.

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - السودان: مجلة كلية الشريعة السنة الأولى - العدد الأول - ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ - يناير ٢٠١٧ م

عمر: إن أرض العراق أرض رقيقة، وأن أهل المدينة يموتون حولي من الجوع، فخشيت أن أمر لك بشيء يكون لك بارده ولي حاره^(١).

المطلب الثاني - محاسبة ولاية المظالم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه:

نتيجة لاتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد الخليفة عمر - رضي الله عنه - وازدياد عدد ولاياتها، أضحت من الصعب على الخليفة، الإحاطة بكل ما يجري في كل ولاياته، فعين عدداً من قضاة المظالم كعمال يقومون برفع المظالم في السوق وغيره، ولما كان الخليفة عمر حريصاً على أن يقف على دقائق الأمور في تصرف عماله، كان يقوم بمحاسبة المقصر من العمال أياً كان منصبه، والياً أم محتسباً أم والي مظالم أم غيرهم من العمال الموكل لهم بخدمة الشعب، وكان يحاسبهم بصفة خاصة على تلك التصرفات التي تدل على الفخر، وكان يقوم باستدعاء العمال بما في ذلك الولاية إذا رفعت ضدّهم شكوى من الرعية، فقد قام باستدعاء أكثر من ال، وكان عمر يجمع عماله بمكة في موسم الحج من كل عام، يسألهم عن أعمالهم، ويسأل الناس عنهم ليرى مدى دقتهم في الاضطلاع بواجبهم، منهم أبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد - رضي الله عنهم أجمعين^(٢).

وقد ثبت أن الخليفة عمر - رضي الله عنه - كان يقوم بمحاسبة هؤلاء الولاية. بل إنه كان يحاسب نفسه^(٣). والأدلة على ذلك قد ذكرتها في فصل الحسبة.

وبالنظر إلى ما تقدم يتضح للباحث أن والي المظالم في عهد الخليفة عمر - رضي الله عنه - يقوم بمراقبة ومحاسبة من يخالف أوامر الشرع ونواهييه في السوق وغيره من مرافق الدولة ويقوم برفع الظلم. ويراقب هو ويحاسب نفسه على التقصير في عمله من قبل الخليفة عمر، شأنه في ذلك شأن كافة العمال.

المطلب الثالث - انتهاء ولاية قضاة المظالم في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه.

تنتهي ولاية قضاة المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بعدة أمور نكرها الفقهاء منها:

أولاً - العزل، وهنالك أسباب للعزل من الولاية^(٤) منها:

(١) انظر حسن السلوك الحافظ دولة الملوك - محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البجلي شمس الدين، ابن الموصل - الناشر: دار الوطن - الرياض - ١١٣/١.

(٢) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسي - محمد سهيل طقوش - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - الناشر: دار النفائس - ص ٣٣٥.

(٣) نصاب الاحتساب - ١/ ٣٣٩ - مرجع سابق.

(٤) الفتوح - أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي - الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م - دار الأضواء، بيروت - ١/ ٨١، والموسوعة الفقهية - ٧٢/ ٣٠ - مرجع سابق.

١. الخيانة، فولاية المظالم أمانة تلقى على عاتق من يكلف بهذه الوظيفة، فإذا لم يقيم والي المظالم بأداء هذه الأمانة عزل.
 ٢. العجز والقصور، فينبغي على والي المظالم أن يبذل قصارى جهده فيما كلف به، فإذا قصر والي المظالم ولم يقيم بما كلف به عزل.
 ٣. اختلال العمل من عسف وجور، فينبغي على والي المظالم أن لا يجور ولا يظلم وأن يقوم بأداء عمله بدون تعسف، فإذا جار وتعسف في العمل عزل.
 ٤. اختلال العمل من ضعف وقلة هيبة؛ فلا بد من أن يكون والي المظالم مهاباً قوياً، له من سطوة السلطنة ما يستطيع به من كبح جناح المعتدين، فإذا اكتشف الحاكم أن والي المظالم ضعيف عزل.
- فقد روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: لأعزلن أبا مريم، وأولين رجلاً إذا رآه الفاجر فرقه، فعزله عن قضاء البصرة، وولى كعب بن سوار مكانه^(١)، ولما كان لرئيس الدولة أن يعزل ولاته الذين ولاهم على البلاد، فكذلك يكون له أن يعزل ولاية المظالم، قياساً عليهم بل من باب أولى؛ لأن أمانة الولاية أعلى من أمانة المظالم.
٥. وجود من هو أكفأ منه. فإذا وجد الخليفة رجلاً أكفأ من والي المظالم عزله، لأن هذه الولاية تحتاج لأكفأ الناس وأقواهم وأصلحهم. فقد عزل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - شرحبيل بن حسنة عن القضاء فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني؟ قال: لا، ولكن وجدت من هو مثلك في الصلاح، وأقوى منك على العمل، قال يا أمير المؤمنين: إن عزلك عيب، فأخبر الناس بعذري، ففعل عمر ذلك^(٢) وقضاء المظالم نوع من القضاء العادي.
- ثانياً - فقد شرط من الشروط التي يجب توافرها فيه كالإسلام والعقل، فإذا ارتد قاضي المظالم عن الإسلام أو اختل عقله بالجنون عزل.
- ثالثاً - الموت، فإذا مات والي المظالم انتهت ولايته.
- رابعاً - انتهاء مدة ولاية والي المظالم. فإذا عين والي المظالم لمدة معلومة، انتهت ولايته بانتهاء المدة. ظل هذه الولاية، فتنتهى ولايته.

(١) انظر المغني لابن قدامة - أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة - الناشر: مكتبة القاهرة - ١٠ / ٩٠، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - المكتب الإسلامي - بيروت - ٢٣٤ / ٨.

(٢) تاريخ قضاة الأندلس - أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي الأندلسي - ١ / ١٧٢ - الطبعة: الخامسة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، فقد تم بحمد الله وتوفيقه، فنسأل المولى عز وجل أن يتقبل مني هذا العمل ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يجعله عملاً خالصاً متقبلاً إنه ولي ذلك والقادر عليه^١ فقد قسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول، وقد توصلت إلى نتائج مهمة منها:

١. أن ولاية المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كانت من الوظائف التي تحظى بأهمية عظيمة.
٢. هنالك فروق واضحة بين سلطات واختصاصات والي المظالم وبين سلطات واختصاصات القضاة.
٣. هنالك فروق واضحة بين أعمال والي المظالم وأعمال المحتسب.
٤. أن لولاية المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سلطات واختصاصات واسعة تفوق في كثير من الأحيان سلطات واختصاصات القضاة.

التوصيات:

خرج البحث بتوصيات مهمة منها أهمها:

١. أن يستفيد ولاة أمورنا - متمثلة في هيئة المظالم والحسبة العامة - من أهم التشريعات التي كانت لولاية المظالم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).
٢. أن يقوموا بتأصيل دولا ب العمل في هذه الهيئة المهمة والحساسة لعلها تقوم بالدور الذي من أجله أنشئت هذه الهيئة.
٣. أن يقوموا بتدريب الهيكل العامل في هذه الوظيفة الحساسة، فغالبية الموظفين التابعين لهذه السلطة أحسبهم غير على ذلك.

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

١. الأحكام السلطانية - المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري - البغدادي، الشهير بالماوردي - الناشر: دار الحديث - القاهرة.
٢. الأحكام السلطانية - القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء - صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي - الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
٣. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه - أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي - المحقق عبد الملك عبد الله دهيش - الطبعة الثانية (١٤١٤ هـ) - الناشر: دار خضر بيروت.
٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني - إشراف: زهير الشاويش - الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م - الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.
٥. تاريخ الخلفاء الراشدين: علي محمد محمد الصلابي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر.
٦. تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري - الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ - الناشر: دار التراث - بيروت.
٧. تاريخ قضاة الأندلس - أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي الأندلسي - المحقق: لجنة إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - الطبعة: الخامسة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
٨. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام - إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى - الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.
٩. تحرير ألفاظ التنبيه، أو لغة الفقهاء للنووي: أبي زكريا يحيى بن شرف، تحقيق عبد الغني الدقر، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - الناشر: دار القلم (دمشق - سورية).
١٠. تحرير السلوك في تدبير الملوك - أبو الفضل محمد بن عبد الوهاب بن عبد اللطيف الأعرج - بدون طبع.
١١. تفسير الإمام الشافعي - الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف - جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران - الطبعة الأولى: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م - الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية.
١٢. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم - محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر - المحقق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز - الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م - الناشر: مكتبة السنة - القاهرة.
١٣. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم - محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح

- بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر - المحقق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز - الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م - الناشر: مكتبة السنة - القاهرة.
١٤. تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور - المحقق: محمد عوض مرعب - الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٥. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألبان - الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية.
١٦. حسن السلوك الحافظ دولة الملوك - محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز البعلبي شمس الدين، ابن الموصلبي - المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد - الناشر: دار الوطن - الرياض.
١٧. شرح مشكل الآثار - أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي - تحقيق شعيب الأرنؤوط - الطبعة الأولى (٥١٤١ هـ - ١٤٩٤ م) - الناشر: مؤسسة الرسالة.
١٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار - الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م - الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.
١٩. صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - الناشر: دار طوق النجاة.
٢٠. صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢١. عصر الخلافة الراشدة - أكرم بن ضياء العمري، الناشر: مكتبة العبيكان.
٢٢. غريب الحديث - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي - الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٢٣. فتاوى الشبكة الإسلامية - لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية.
٢٤. الفتوح - أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي، أبو محمد - المحقق: علي شيري ٨١ - الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م - الناشر: دار الأضواء، بيروت.
٢٥. الفقه الإسلامي وأدلته - أ. د. وهبة الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة - الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق.
٢٦. الكامل في التاريخ - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ابن الأثير - تحقيق: عمر عبد السلام تدمري - الطبعة:

- الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م - الناشر: دار الكتاب - العربي، بيروت - لبنان.
٢٧. لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور - الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ - الناشر: دار صادر - بيروت.
٢٨. مآثر الإنافة في معالم الخلافة - أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي - المحقق: عبد الستار أحمد فراج - الطبعة: الثانية (١٩٨٥ م) - الناشر: مطبعة حكومة الكويت.
٢٩. مساوئ الأخلاق ومذمومها - أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاعر الخرائطي السامري - حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي - الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة.
٣٠. المحكم والمحيط الأعظم - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي - المحقق: عبد الحميد هنداوي - الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٣١. مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي - المحقق: يوسف الشيخ محمد - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م - الناشر: المكتبة العصرية - بيروت.
٣٢. معجم مقاييس اللغة - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين - المحقق: عبد السلام محمد هارون - الناشر: دار الفكر - عام النشر (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).
٣٣. معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام - أبو الحسن، علاء الدين، علي بن خليل الطرابلسي الحنفي - الناشر: دار الفكر.
٣٤. المغرب - ناصر بن عبد السيد أبي المكارم بن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي - الناشر: دار الكتاب العربي.
٣٥. المغني لابن قدامة - أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة - الناشر: مكتبة القاهرة.
٣٦. مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي - المحقق: خليل شحادة - الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - الناشر: دار الفكر، بيروت.
٣٧. الموسوعة الفقهية الكويتية - صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر.
٣٨. نصاب الاحتساب: عمر بن محمد بن عوض السنامي - بدون طبع.
٣٩. النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير - الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.